الولادة من رحم الموت في ومضة "لقاء" لهيفاء حمّاد

بسام جميدة، سوريا

لقاء[17]

جمعنا الفراق أنا وهو على طاولة واحدة، شيعنا جثمان الحب وافترقنا. "رُبّ موت يكون ولادة."

عندما تضع الكاتبة هيفاء حماد جملتها الأخيرة "رب موت يكون ولادة" بين علامتي تنصيص في ومضة مؤلفة من ثلاث جمل متناسقة، فهي بذلك تمنح نصها دفق حياة، لتؤكد الاستمرارية في العيش دون الالتفات لما حصل من نتيجة لقرارها الذي اتخذته والذي أكدت عليه عبر كلمة "وافترقنا" بعد لقاء كان مقصوداً، إنما افتراضيا، ومن خيال الشخصية التي عانت من الفراق وعدم التوافق، وجاء بعد فترة غياب ربما تكون طويلة أو قصيرة، حيث لم يظهر الانسجام خلال تلك الفترة وتم اللقاء المنتظر لتتحرر من رابط الحب الذي كان يكبلها حيث اكتشفت أنها بعيدة عنه كل البعد ولابد من قرار حاسم، ونستشف من خلال التحليل أنه بين خطيبين أو حبيبين تعاهدا يوما على الاستمرار ولكن تقطعت بهما السبل عندما اجتمعا على طاولة واحدة.

[17] هيفاء حماد. بوح ياسمين. الكتاب الخامس في سلسلة ومضات قصصية. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني، طبعة ثانية. مايو 2015. ص 14.

لم يكن اجتماعا عاديا بل شابَهُ الكثير من النقاش وبالتأكيد كان ساخنا حتى لو لم يكن واضحا من مفردات النص، حيث جاء ختامه دراميا حزيناً ولم يكن له نتيجة إيجابية، وغابت عنه الحفاوة والحرارة والرومانسية التي من المفترض أن يتسم بها لقاء تم بعد فراق، لكن يبدو أن ظروف الشخصية الأولى كانت صعبة في مكان غربته ولم تكن واضحة لنوجد له العذر المقبول في الغياب ولا حتى لم يحاول تبريره على لسانه ولا على لسان الراوي الذي بقي حياديا ينقل المشهد بكل عفوية ولا أدنى تدخل منه، فما أفضت إليه نتيجة اللقاء الذي عنونت به الكاتبة ومضتها، إنهما اتفقا على أن الحب الذي كان بينهما قد مات، وهو إعلان صريح اتفقا عليه سوية عبر فعل شيّع الذي اتصلت به "نا" الدالة على الفاعلين، وقد استشهدت على تأكيد الموت عندما شبهت الحب بالجثمان، وهذا يدل على أن الحب الذي مات كان ينبض بالدفء والحياة، ولم نعرف سبب الموت الحقيقي له، وهنا تبدو ردة فعل الشخصية الثانية في الومضة سعيدة بما تم الاتفاق عليه، حيث وَقّعتْ، كما قلت في البداية، على النهاية بتوقيع يبدو أقرب للحكمة أو العبرة "رب موت يكون ولادة"، إذا هي تفصح عن ردة فعلها، ولكن غابت مشاعر وأحاسيس الشخصية الأولى التي لم تدافع عن نفسها مطلقاً، بل جاءت الومضة أنثوية بامتياز وانحازت لمشاعرها فقط.

الكاتبة هنا أجادت استعمال مفارقتين في جملتين من أصل ثلاثة في الومضة "جمعنا الفراق" و"الموت والولادة" وهذا يدل على تمكن الكاتبة من حسن انتقاء وتوظيف المتناقضين بدلالات تخدم النص كثيرا وتساهم في جمالية الومضة التي جاءت بضمير المتكلم.

استخدام الكاتبة "لقاء" عنوانا للومضة جاء من صلب النص ككل مع أنه لم يكن لقاءً مثمراً وربما كان من باب التفاؤل بالولادة القادمة، ولقاء جديد يحمل الفرح.

الزمن السردي ربما يبدو للبعض طويلا كونه يحمل في طياته لقاء وطاولة وردة فعل، لكنه في الحقيقة قصيراً كون اللقاء افتراضي والتنقل بين الجمل الثلاثة وبسلاسة من قبل الكاتبة يجعلنا نقفز فوق عامل الزمن الذي لم نشعر به مطلقاً.

ومن خلال عبارة (جمعنا الفراق) تؤكد على نهاية اللقاء وليس على اللقاء ذاته ليكون المدى الزمني قصيراً، ولو لم تستعمل كلمة الفراق بعد جمعنا لتحول النص إلى قصة قصيرة جدا أي لو قالت اجتمعنا على طاولة واحدة ستكون هنا قد بدأت من نقطة زمنية في بداية اللقاء، لكنها استعملت جمعنا الفراق التي تدل على انطباع الراوية عن اللقاء في نهايته، ولم تدخل في تفاصيل اللقاء، بمعنى أنها أوحت باللقاء والغربة دون أن تذكر

تفاصيلهما، كما أنها أخفت لماذا تم تشييع جثمان الحب، وقالت "رب موت يكون ولادة"، لأنها اكتشفت أن الحب كان وهما أو لم يعد موجودا، ولذلك تحررت الراوية من وهمها ويمكنها أن تبدأ بداية جديدة.

ومضة معبرة جادت بها الكاتبة هيفاء حماد لتعبر عن مشكلة موجودة بالفعل في مجتمعنا دون أن نعيرها أي انتباه ألا وهي الابتعاد القسري عمن نحب دون معالجة المشكلة بما تقتضيه الظروف للحفاظ على حالة الحب بين طرفين متحابين أو متقاربين، وقد يساهم في هدم أركان بيت قائم إن لم يحسن أيا منهما ترميم المشكلة بالشكل المطلوب أو حمل ممحاة التسامح أو إيجاد الأعذار لمن نحب.

في العموم هي ومضة تلقي الضوء على مشكلة تؤرق المجتمع التقطتها الكاتبة بعناية فائقة ووظفت فيها المفردات بعناية.